البروفيسور احسان دوغراماجي 1915-2010: حياة زاخرة بالريادة والانجازات

سلجوق باجالان

في أحد المرات قال عبدالله غول، رئيس الجمهورية التركية الأسبق:" البروفسور احسان دوغراماجي هو شخص فريد، كرس حياته وثروته العائلية بالكامل للأجيال القادمة ولتطوير فرص التعليم والتعليم العالي للشباب".

ولد الراحل احسان دوغراماجي في محلة القلعة في مدينة أربيل عام 1915 لأسرة معروفة من تركمان العراق، فقد ذكر المؤرخ عباس العزاوي في كتابه (العراق بين احتلالين): "ان (دوغراماجي) من أقدم العشائر والبيوتات التركمانية في العراق وهم من أصحاب السطوة والنفوذ ويقطنون في مدينتي أربيل وكركوك، ومن أشهر فروع هذه العائلة أسرة علي باشا (والد احسان دوغراماجي)".

البدايات

درس احسان دوغراماجي التعليم الابتدائي في مسقط رأسه بأربيل، ومن ثم اكمل دراسته الثانوية بالمدرسة الأمريكية في بيروت، ودخل بعدها المدرسة الطبية في بغداد، وبعد ان درس فيها عامين غادر بغداد مع والده الى مدينة استانبول،

ليلتحق بكلية الطب في جامعة إسطنبول والتي تخرج منها عام 1938, وقد تمرن الدكتور دوغراماجي في مجال أمراض الأطفال في مستشفى "نمونة هاستاناسي" في أنقرة تحت اشراف البروفيسور الألماني ألبرت اكشتين, بعد ذلك عمل باحثاً طبياً بجامعتي هارفارد وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وعاد بعدها الى العراق حيث عمل طبيبا في مستشفيات بغداد وسامراء, ومن ثم التحق بكلية الطب في جامعة هارفارد الامريكية عام 1945 لنيل شهادة الاختصاص في طب الأطفال, عاد بعدها دوغراماجي في 1947 الى مدينة انقرة بتركيا حيث استقر فيها حتى نهاية حياته التي أدى فيها رسالته النبيلة في مجال العلم, حيث وصل الدكتور دوغراماجي إلى درجة "بروفيسور" في الطب في عام 1955, وتولى عمادة كلية الطب بجامعة

أنقرة ورئاسة جامعة انقرة في الأعوام 1963 - 1965, ورئاسة جامعة حاجت تبه بانقرة أيضا في الأعوام 1967 - 1975, ثم أصبح أول رئيس لمجلس التعليم العالي والبحث العلمي في تركيا بين الأعوام 1980 - 1992 (هذا المجلس يماثل وزارة التعليم العالي في البلدان الآخرى).

والد الدكتور احسان دوغراماجي هو علي باشا محمود دوغراماجي الذي شغل عدة مناصب في العهد العثماني، من أهمها: عضو في محكمة التمييز، رئيس بلدية اربيل، نائب في مجلس الأعيان عن محافظة اربيل، ووالدة الدكتور احسان دوغراماجي هي السيدة عصمت خانم، أبنة محمد علي قيردار، وهو أحد وجهاء مدينة كركوك وكان ممثلاً لهذه المدينة في مجلس المبعوثان العثماني لعدة أعوام. ويعود أصل عائلة الدكتور احسان الى قره محمد بك دوغراماجي، الذي كان من القادة العسكريين البارزين في الجيش العثماني في عهد السلطان مراد الرابع.

تزوج احسان دوغراماجي من السيدة "آيسر"، أبنة السياسي العراقي الراحل حكمت سليمان، الذي أصبح رئيساً لوزراء العراق في سنة 1936، حكمت سليمان هو حفيد محمود شوكت باشا الذي شغل منصب الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في العهد العثماني. انجب احسان دوغراماجي من السيدة آيسر ثلاثة أبناء،من بينهم البروفيسور علي احسان دوغراماجي الذي تولى رئيس جامعة بيلكنت.

الريادة

يعد الدكتور احسان دوغراماجي رائد التعليم الجامعي الخاص في تركيا، ففي العام 1985 أسس دوغراماجي أول جامعة خاصة في تركيا، وهي جامعة بيلكنت (Bilkent بالتركية تعني مدينة العلم) في أنقرة، هذه الجامعة تعتبر الآن من الجامعات المتقدمة عالمياً. بعد نجاحه في مشروع جامعة بيلكنت، شجع دوغراماجي رجال الأعمال الأتراك الكبار آنذاك، مثل وهبي قوتش، وصاقب صابانجي، وحسني أوزيين، على

تأسيس جامعات خاصة أخرى في تركيا. دوغراماجي له الريادة أيضاً في تأسيس العديد من الكليات والمعاهد الطبية والمراكز الصحية الحكومية في تركيا.

لعدة سنوات كان دوغراماجي يتولى رئاسة وفد تركيا في البرلمان الصحي العالمي، ومن ثم رئاسة الوفد الأوروبي للبرلمان المذكور. خلال حياته شغل دوغراماجي عدة مناصب دولية، مثل رئيس المنظمة الدولية لطب الأطفال، ومستشار في منظمة الصحة العالمية، ونائب رئيس منظمة الصحة الأوروبية، الرئيس الثاني لمؤتمر الصحة العالمي. ورئيس لجنة البرامج في منظمة اليونيسيف، كما تم اختياره رئيساً فخرياً لمؤسسة الطب العالمية، ورئيساً فخرياً للاتحاد الدولي لطب للأطفال.

نال دوغراماجي عدة تكريمات في حياته، من تركيا ومن مختلف بلدان العالم، تثميناً لجهوده في خدمة العلم والانسانية، فقد تم منحه رتبة أميرال فخرية من الولايات المتحدة الأمريكية عام 1975, وميدالية أكبر مرتبة علمية في تركيا عام 2007، والمدالية الذهبية من مجلس الشعب المصري، وسفير الطفولة من منظمة اليونيسيف، فضلا عن عضويته في ما يقارب خمسين منظمة وجمعية علمية دولية. وتم ترشيحه لمنصب رئيس الجمهورية التركية ووزيرا للصحة، ولكنه اعتذر عن قبول كلا المنصبين، لاجل الاستمرار في الخدمة في المجال العلمي والطبي.

وكان "حيدر عليف" الرئيس السابق لجمهورية اذربيجان قد أمر بصنع تمثال للبروفسور دوغراماجي بطول يزيد على ثلاثة أمتار وأهداه له، غير ان "دوغراماجي" أمر بوضع التمثال في المخزن قائلا: "ستنصبون التمثال بعد مماتي". لكن بعد على إصرار "حيدر عليف"، تم اخراج التمثال من المخزن ونصب في حديقة جامعة بيلكنت.

دوغراماجي كان يتقن كثير من اللغات منها التركية والعربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية. وبدأ بتعلم اللغة الإيطالية، وهو في التاسعة والثمانين من عمره. وكما قال بعض المقربين منه بانه بدأ في تعلم اللغة الصينية ايظاً في أواخر حياته.

واعترافا بفضله في التعريف بتركيا في جميع انحاء العالم، قام مجلس الأمة التركي الكبير (مجلس النواب) بمنح احسان دوغراماجي "وسام الشرف" في عام 2007، حيث تسلّم دوغراماجي هذا الوسام من رئيس آنذاك بولند ارينج في مراسيم رسمية.

قالوا عن احسان دوغراماجي:

سليمان دميريل، رئيس الجمهورية التركية الأسبق: "احسان دوغراماجي رجل عبقري وطبيب ألمعي، وانسان بكل معاني الكلمة، ومن رجال التربية الأفذاذ، وفوق كل ذلك فإنه محب لوطنه الى اقصى حد".

في أحد المرات قال عبدالله غول، رئيس الجمهورية التركية الأسبق:" البروفسور احسان دوغراماجي هو شخص فريد، كرس حياته وثروته العائلية بالكامل للأجيال القادمة ولتطوير فرص التعليم والتعليم العالي للشباب".

كوفي عنان، الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة:"يا بروفسور دوغراماجي: انك مواطن عالمي يحتذى به وتأمل الأمم المتحدة ان تجده في كل بلد".

البروفيسور هربرت سيمون، منى جامعة كارنيجي ميلون الأمريكية:" اني أجد فائدة كبيرة في تعاون معجزة بيلكنت للبروفيسور دوغراماجي مع جامعة كارنيجي ميلون التي انتسب اليها".

دونالد جيه جونستون، الأمين العام السابق لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:" احسان دوغراماجي ذو شخصية تركية مثالية، وأعتقد أن هذه الجملة تشبه ملخص قصة حياة إحسان دوغراماجي.

هالفدان ماهلر، المدير العام الفخري لمنظمة الصحة العالمية:" تتعامل منظمة الصحة العالمية مع أعمال الطاقة البشرية، ويمكن رؤية الطاقة البشرية من عدة زوايا مختلفة، أود أن أمثل بعضًا من عظمة هذه الطاقة من خلال أعمال وجهود إحسان دوغراماجي، وهو صديق وزميل وقائد بالنسبة لي".

الوفاء للجذور التركمانية العراقية

كان احسان دوغراماجي تركمانيا وفياً ومحبّا للتركمان، وللعراق ككل، وكانت داره مفتوحة دائما لضيوفه من العلماء والأطباء والأدباء العراقيين، والزائرين الذين يطلبون مساعدته في شؤون مختلفة. كان مولعاً بالأدب والشعر والثقافة، وكان لشعر القوريات التركماني مكانة خاصة في قلبه، وفي كل سنة من عيد

ميلاده كان يدعو الشعراء والفنانين من كل المناطق التركمانية في العراق الى بيته. وفي نفس الوقت كان لدوغراماجي اهتمام كبير بالمؤلفات العربية، وكان يناقش الحاضرين في مجلسه حول مواضيع النحو والأدب العربي، وكان يحفظ قصائد الشعر التركي والتركماني والعربي. وبالرغم من انشغالاته الكثيرة واهتماماته المتنوعة الا انه بقي شاعراً يهتم بالشعراء والأدباء وساهم في دعم طبع ونشر العديد من الدواوين والكتب فضلًا عن دعم المؤسسات الثقافية التركمانية.

لم ينس دوغراماجي وطنه الأم العراق، وقدم الكثير من المساعدات الإنسانية والطبية للعراقيين من كافة القوميات، إضافة الى منحه عشرات الزمالات والمنح الدراسية المجانية والدعم المادي الى الطلبة العراقيين، وكانت من أمنياته تأسيس جامعات خاصة نموذجية في كل من بغداد وكركوك واربيل، ولكن بسبب عدم استقرار الأوضاع في العراق لم يتمكن دوغراماجي من تحقيق هذه الأمنية. تمكن دوغراماجي في عام 1994 من تأسيس أول مدرسة تركمانية في مسقط رأسه في أربيل باسم مدرسة "دوغوش" Doğuş (تعني الشروق بالتركية) ثم ازداد عدد هذه المدارس في جميع انحاء المناطق التركمانية في العراق إلى حوالي أكثر من مئة مدرسة ابتدائية واعدادية وروضة أطفال.

الدكتور احسان دوغراماجي كان من المهتمين في نشر اللغة والثقافة التركية ايضاً، كان يدعو في كل صيف المعلمين والمدرسين المتعينين في المدارس التركمانية في العراق، والأكاديميين المختصين في اللغة التركية من جميع البلدان الناطقة باللغة التركية، الى جامعة بيلكنت لأخذ دروس تطويرية في طرائق التدريس باللغة التركية.

توفي البروفسور احسان دوغراماجي في الخامس والعشرين من شهر شباط/ فبراير للعام 2010 بمدينة انقرة، وهو في الخامسة والتسعين من عمره، وتم تشييع جنازته ودفنه في المسجد الذي انشأه بإسم والده علي باشا في جامعة بيلكنت بأنقرة، وكان تشييعاً رسمياً وعلى مستوى الدولة، وحضر مراسيم التشييع رئيس الجمهورية التركية ورئيس الوزراء والوزراء وجميع أركان الدولة التركية والآلاف من تركمان العراق المقيمين في تركيا. ■

سلجوق باجالان: أكاديمي من العراق، حاصل على الدكتوراه في دراسات الهوية القومية من جامعة غازي في أنقرة، عضو الهيئة التدريسية بجامعة كركوك، خبير الدراسات التركمانية في مركز أورسام.